ترجيحات ابن جرير في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القران) بناء على قاعدة (الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب) في سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام)

دكتورة/ أسماء بنت محمد العجلان
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

موضوع البحث:

ما رجحه ابن جرير في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القران)، بناء على قاعدة (الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب) في سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام).

هدف البحث:

استقراء ترجيحات الإمام ابن جرير الطبري بقاعدة الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب في تفسير سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام) في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، و قد بلغ عددها عشر ترجيحات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء تفسير سورة يونس وهود ويوسف عليهم السلام في تفسير ابن جرير، واستخراج ترجيحات ابن جرير بين الأقوال بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب، والمنهج التحليلي: وذلك ببيان ترجيحات ابن جرير والتعليق عليها، واستعراض أقوال بعض المفسرين وعلماء اللغة والقراءات ما أمكن كل مبحث بحسبه.

أهم نتائج البحث:

- اهتمام ابن جرير باختلاف المفسرين والترجيح بين أقوالهم على أسس علمية منهجية.

- اتخاذ ابن جرير قاعدة (الأغلب والمشهور من كلام العرب) أصلا من أصول الترجيح وقواعده في تفسيره في الترجيح بين الأقوال والآراء المختلفة والقراءات.
- بلغت المواضع التي رجح فيها ابن جرير بقاعدة (الأغلب والمشهور من كلام العرب) عشرة مواضع في سورة يونس وهود ويوسف عليهم السلام، وتعددت عباراته، فمنها قوله: (الأشهر، الأفصح، الأعرف، الأغلب، الأشهر، الأغلب الأظهر، المتعارف عليه).
- تصدير ابن جرير الترجيح في معظم مواضعه بقوله:(قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله تعالى...).
- الكلمات الدالة (المفتاحية): ابن جرير، جامع البيان، قواعد الترجيح.

Research Summary:

Research topic:

What Ibn Jarir favored in his interpretation (Jami' al-Bayan ana Interpretation of the Verse of the Qur'an), based on the rule of (the most common, well-known and well-known from the speech of the Arabs) in Surat Yunus, Hud and Yusuf (peace be upon them).

Search goal:

Extrapolating the preferences of Imam Ibn Jarir al-Tabari using the rule of majority, the well-known and well-known Arabs' interpretation of Surat Yunus, Hud, and Yusuf (peace be upon them) in his book (Jami' al-Bayan ana Interpretation of the Verse of the Qur'an), and their number reached ten preferences.

Research Methodology:

In this research, I followed the inductive approach: by extrapolating the interpretation of Surat Yunus, Hud, and Joseph, peace be upon them, into the interpretation of Ibn Jarir, and extracting Ibn Jarir's preferences among the sayings using the well-known rule of majority from the speech of the Arabs, and the analytical approach: by stating Ibn Jarir's preferences and commenting on them, and reviewing the sayings of some commentators and scholars. Language and readings as much as possible, each subject according to it.

Most important search results:

-Ibn Jarir's interest in the differences of commentators and the weighting between their statements on systematic scientific foundations.

-Ibn Jarir took the rule (the majority and famous ones from the speech of the Arabs) as one of the principles of preponderance and its rules in his interpretation of the preponderance between different sayings, opinions, and readings.

-The places in which Ibn Jarir favored the rule (the most common and the most famous among the speech of the Arabs) reached ten places in Surat Yunus, Hud and Yusuf, peace be upon them, and his expressions were numerous, including his saying: (the most famous, the most eloquent, the most familiar, the most common, the most famous, the most apparent, the most common.(

-Ibn Jarir cited the preference in most of his places by saying: (Abu Jaafar said: And the most appropriate of these statements according to us is the interpretation of His Almighty's saying.)...

-Keywords: Ibn Jarir, Jami' al-Bayan, rules of weighting.

مقدمة:

تتعدد الأقوال في كتب التفسير في تفسير اللفظ القرآني، وقد يختلط فيه الخطأ بالصواب، والحق بالباطل، لذلك حرص العلماء على وضع قواعد ترجيحية وتطبيقها في نقد أقوال المفسرين لمعرفة الراجح من الأقوال في تفسير الآية، مما يسهم في معرفة وحفظ أرجح الأقوال في تفسير آيات الكتاب الكريم بعد تعذر حفظ كل الأقوال.

وبيان الصحيح من الأقوال وتحديد الراجح منها هو السبيل الأمثل لتنقية كتب التفسير من رديء الأقاويل، وضعيف الروايات، و قد كان تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) أحد أهم التصانيف في المدونة التفسيرية، ولا غرو فالإمام الطبري اعْتُبِرَ بهذا الكتاب أبًا للتفسير وشيخًا للمفسرين بلا منازع، أجمع العلماء قديمًا وحديثًا على عظيم قيمة تفسيره، وتنوعت عباراتهم في الثناء على هذا الكتاب وبيان أهميته، قال أبو حامد الإسفراييني: (لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا)[1]، وقال ابن تيمية: (أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المُتَّهمِين)[2].

ولمّا كان لتفسير الطبري هذه المكانة وتلك الأوصاف التي ربما لا يتصف بها غيره من الكتب في مدونة التفسير –كان البحث في مبحث من مباحثه اللغوية المرتبط بقاعدة من قواعد الترجيح التي يعتمد عليها ابن جرير في تفسيره وهو قاعدة الترجيح بحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والمنكر.

يقول الدكتور الذهبي: (البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمراً مقصوداً لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، كما يحاول بذلك – أحياناً – أن يُوفِّق بين ما صح عن السلف، وبين المعارف اللغوية، بحيث يُزيل ما يُتوهم من التناقض بينهما)[3].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- استخراج ترجيحات الإمام ابن جرير في تفسيره بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب.

(١) سير أعلام النبلاء، (٢٧٢/١٤).

(٢) مقدمة في أصول التفسير، (٥١).

(٣) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون (١٥٧/١).

- إبراز منهج الإمام ابن جرير في الترجيح بين الأقوال التفسيرية بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب.

- دراسة المسائل المتعلقة بترجيح ابن جرير بين الأقوال التفسيرية.

- ارتباط أهمية البحث بأهمية الإمام الطبري وتفسيره، إذ لا يخفى على أحد مكانة الإمام الطبري وتفسيره.

- القيمة التفسيرية لهذا البحث، إذ هو متعلق بمعرفة الراجح في تفسير القرآن، وهو المقصود من التفسير، بل هو لبه وثمرته.

هدف البحث:

استقراء ترجيحات الإمام ابن جرير الطبري بقاعدة الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب في تفسير سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام) في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، و قد بلغ عددها عشر ترجيحات.

حدود البحث:

ما رجحه ابن جرير في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القران)، بناء على قاعدة (الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب) في سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام).

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات حول الإمام الطبري وتفسيره، منها ما يتعلق بترجيحات الإمام الطبري، مثل:

– ترجيحات الطبري في جامع البيان من خلال تفسير العشر الأخير من القران، دراسة نظرية تطبيقية.

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير والقران، إعداد الطالبة/ حنان بنت نور مياه سركار، إشراف الدكتور: رأفت بسيوني، كلية العلوم الإسلامية، قسم القران وعلومه، العام الجامعي ١٤٣٦هـ –٢٠١٥م، وهي دراسة تضمنت ترجيحات الطبري وفي الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القران، ومقارنتها بأقوال المفسرين من بعده وأقوال أهل اللغة والفقه والقراءات، مصنفة من ناحية الاختلاف في القراءات وأسباب النزول والتأويل، ومصنفة أيضاً إلى ما كان من ناحية عقدية، أو فقهية أو لغوية غير أن هذه الرسالة لم تتطرق لموضوع البحث هنا: الترجيح بالأرجح والأغلب من استعمال العرب .

- الترجيحات اللغوية للإمام الطبري في تفسيره (سورة الأنبياء والحج نموذجاً)، وهو مقال من إعداد: مريم سعد الكواري، مجلة الدراسات الإسلامية والعربية، للبنات بكفر الشيخ، العدد الرابع، المجلد الثالث، عام ٢٠٢٠، ص١٠٠-١٥٦.

وهي دراسة للترجيحات اللغوية الطبري في تفسيره لسورتي الأنبياء والحج، وتضمنت القواعد اللغوية للترجيح على عمومها في سورتي الأنبياء والحج، كقاعدة (كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة اللفظ للآية وسياستها فهو ردّ)، وقاعدة (العموم أولى من التخصيص) وقاعدة (التأسيس أولى من التأكيد)، وقاعدة (ليس كل ما ثبت في اللغة يصح حمل القران عليه، ويحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ)، وذكرت أمثلة لكل قاعدة، غير أن ذكرته من أمثله تحت قاعدة:(يحمل كلام الله في المعروف من كلام دون الشاذ) معظمها لا يندرج تحت القاعدة هذه وإنما يندرج تحت قواعد لغوية أخرى، حيث ذكرت أمثلة تسعة ، لا يندرج منها تحت هذه القاعدة إلا أربعة أمثلة.

بينما هذا البحث مضمونه الترجيح عند ابن جرير في تفسيره في القرآن بقاعدة الأغلب والأشهر من كلام العرب .

- منهج الإمام ابن جبير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية دراسة نظرية تطبيقية، للدكتور حسين علي الحربي مركز تفسير الدراسات القرآنية، الرياض، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٦م تضمن هذا الكتاب حياة ابن جرير ومنهجه في الترجيح، وسبعة عشر منهجاً لابن جرير في استعمال وجوه الترجيح، من بينها: الترجيح باعتماد المشهور المستفيض من كلام العرب، وكانت هذه الدراسة استقراءاً لترجيحات ابن جرير ودراستها بداية من سورة الفاتحة إلى نهاية الحزب الثالث من القرآن، وذكر أمثلة لكل قاعدة.

بينما هذا البحث يتضمن بيان قاعدة من قواعد الترجيح (الترجيح بالأغلب والأشهر من كلام العرب).

- منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين، إعداد تمام كمال موسى، إشراف الدكتور: محسن الخالدي، وهي رسالة ماجستير، في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٤م.

تضمنت هذه الدراسة دراسة المنهج ابن جرير في الترجيح بين الأقوال، وذكر أمثلة لاستعماله الترجيح على أساس تفسير القرآن بالقرآن وعلى أساس تفسير القرآن بالسنّة، وختمت بالترجيح على أساس اللغة، وذكرت خمسا من المجالات التي يعتمد فيها ابن

جرير على اللغة في الترجيح، ولم يكن من بين هذه المجالات (الترجيح بالأغلب والمشهور من كلام العرب).

بينما هذه الدراسة لُبّها هو الترجيح بالأغلب والمشهور من كلام العرب.

- ترجيحات الإمام ابن جرير الطبري في تفسير سورة التكوير من خلال كتابه جامع البيان عرضاً ودراسة.

مقال لحشمت مفتي عبد الراضي، المجلة العلمية، كلية اللغة العربية، أسيوط، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م العدد الخامس والثلاثون، الجزء الثاني، ١٦٦٥- ١٨٢٧.

حيث تعرضت هذه الدراسة لترجيحات ابن جرير في تفسيره لسورة التكوير، وعرض هذه الترجيحات ومقارنتها بترجيحات غيره، وبيان الأرجح منها، وكانت هذه الترجيحات تجري على قواعد عدة، ذكر منها مثالاً واحداً لما يتعلق بالترجيح بالمعروف المشهور من لغة العرب.

- ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره من الآية (٣٢) من سورة المائدة إلى الآية(٩٣) من سورة الأنعام، إعداد: عرفة محمد العبدلي، رسالة ماجستير، كلمة الدعوة وأصول الدين، ١٤٤٤- ٢٠١٩م، جامعة أم القرى.

ولم يتسن لي الاطلاع عليها.

- قواعد الترجيح عند الإمام الطبري من خلال تفسيره ، الأنعام والأعراف والمائدة نموذجاً، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة: فتحية عياض، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.

ولم أقف على هذه الرسالة.

- ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره، من قوله تعالى: ﴿ * وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾[1]من سورة البقرة حتى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ ﴾[2] من سورة النساء، دراسة موازنة، عبدالحميد عبدالرحمن السحيباني.

وبعد هذا العرض للدراسات السابقة، لم أقف على دراسة تناولت ترجيحات الإمام الطبري في سورة يونس وهود ويوسف عليهم السلام بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٠٣).

(٢) سورة النساء، الآية: (٥٨).

خطة البحث:

وتضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس علمية.

أما المقدمة فكانت لبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، واستعراض الدراسات السابقة، وبيان هدف البحث وحدوده وخطة البحث ومنهجه.

الفصل الأول: التعريف بالإمام ابن جرير الطبري وتفسيره، والتعريف بقواعد الترجيح، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جرير الطبري.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير ابن جرير الطبري.

المبحث الثالث: التعريف بقواعد الترجيح.

الفصل الثاني: ترجيحات ابن جرير بناء على قاعدة (الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب) في سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام)، وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨].

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣].

المبحث الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧].

المبحث الرابع: قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[هود: ٤٠].

المبحث الخامس: قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

المبحث السادس: قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١].

المبحث السابع: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[هود:١٠٨].

المبحث الثامن: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[يوسف: ٢٣].

المبحث التاسع: قوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨].

المبحث العاشر: قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾[يوسف: ٩٩].

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء تفسير سورة يونس وهود ويوسف عليهم السلام في تفسير ابن جرير، واستخراج ترجيحات ابن جرير بين الأقوال بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب.

واتبعت المنهج التحليلي: وذلك ببيان ترجيحات ابن جرير والتعليق عليها، واستعراض أقوال بعض المفسرين وعلماء اللغة والقراءات ما أمكن كل مبحث بحسبه.

إجراءات البحث:

وتتلخص في الآتي:

١. استقراء تفسير الطبري: لسورة يونس وهود ويوسف عليهم السلام، والوقوف على ترجيحاته التي استعمل رجح فيها بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب.

٢. تدوين نص التفسير وعبارة الترجيح كاملة، ثم التعليق عليها واستعراض أقوال بعض المفسرين وعلماء اللغة والقراءات كل مبحث بحسبه.

٣. وضع كل موضع ترجيح في مبحث، وجعل الآية موضع الشاهد عنوانا للمبحث.

٤. تدوين عبارة الطبري في الاختلاف والترجيح، كقوله: والصواب من الأقوال في ذلك، وأولى القولين عندنا بالصواب، وأولى الأقوال بالصواب، وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل الآية...؛ وذكر عبارة التعليل والترجيح مثل: (الأشهر، الأفصح، الأغلب، الأشهر، المتعارف عليه) وغيرها.

٥. عزو الآيات وترقيمها، بذكر اسم السورة مع رقم الآية ووضعها بين قوسين، مع التزام رسم المصحف العثماني.

٦. عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها المعتمدة.

٧. تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة.

٨. توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

٩. ختم البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

١٠. تزويد البحث بفهرس المصادر والمراجع.

والله أسأل أن ينفعنا بالقرآن ويرزقنا إخلاص النية وقبول العمل، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

الفصل الأول: التعريف بالإمام ابن جرير الطبري وتفسيره، والتعريف بقواعد الترجيح وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جرير الطبري

اسمه ومولده:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، يُكنى بأبي جعفر، واتفق المؤرخون على أنه لم يتزوج ولكنه تكنى، ولد سنة ٢٢٤هـ بآمل عاصمة إقليم طبرستان(١).

نشأته:

نشأ الطبري بآمل، وتربى برعاية والده، وتفرس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم، فتولى العناية به ووجهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، فقد رأى أبوه رؤيا في منامه أن ابنه واقف بين يدي الرسول ﷺ ومعه مخلاة مملوءة بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله ﷺ، وقصّ الأب على مُعَبِر رؤياه فقال له: "إن ابنك كبر نصح في دينه، وذب عن شريعة ربه".

ويظهر أن الوالد أخبر ولده بهذه الرؤيا وقصها عليه عدة مرات؛ فكانت حافزاً له على طلب العلم والجد والاجتهاد فيه(٢)، فوجهه والده إلى العلماء ومعاهد الدراسة.

شيوخه وتلامذته:

من شيوخه: إسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب، وأحمد بن منيع البغوي، وغيرهم(٣).

ومن تلامذته: مخلد بن جعفر، وأحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبدالله الشافعي وغيرهم.

مكانته العلمية، وآراء العلماء فيه:

اشتهر الطبري: بكثرة مؤلفاته، جامع البيان في تأويل القرآن، "تاريخ الأمم والملوك"، "تهذيب الآثار" وغيرها.

قال عنه ياقوت الحموي – وكان معاصراً له –: "أبو جعفر الطبري المحدث، الفقيه، المقرئ، المؤرخ، المعروف، المشهور"(٤). وقال الخطيب البغدادي: "كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم

(١)معجم الأدباء، الحموي، (٢٤٢/٥).
(٢) معجم الأدباء، الحموي، (٢٤٧/٥).
(٣)تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي،(١٦٢/٢).
(٤)انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (٢٤٢/٥).

يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات كلها، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها: صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم...، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم"[(١)]. وقال القفطي: "العالم الكامل، الفقيه، المقرئ، النحوي، اللغوي، الحافظ، الإخباري، جامع العلوم، لم يُرَ في فنونه مثله، وصنف التصانيف الكبار"[(٢)].

وفاته:

توفي سنة ٣١٠هـ[(٣)].

المبحث الثاني: التعريف بتفسير ابن جرير الطبري

عرض الإمام ابن جرير منهجه بإيجاز بعد أن بين فضل محمد ﷺ بالنبوة والمعجزات، وفضل الله على الأمة بحفظ كتابها، ثم فضل العناية بكتاب الله، وقدّم مقدمة تكشف عن منهجه في التفسير، فقال: (ونحن – في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه – منشؤون – إن شاء الله ذلك – كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة، فيما اتفقت عليه الأمة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، مبين علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الايجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه)[(٤)].

ثم شرع في تفصيل منهجه في أصول التفسير مع ذكر الأدلة الشرعية واللغوية، وقد لخص الأستاذ محمد محمود الحلبي منهجَ الطبري باختصار فقال: هو تفسير ذو منهج خاص، يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناءً على خلافٍ في القراءة أو اختلاف في التأويل، ثم يعقّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى فينهج نفس النهج: عارضًا ثم ناقدًا ثم مرجّحًا، هو إذ ينقد أو يرجّح يردُّ النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال رجال السند في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن

(١)انظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي،(١٦٣/٢).
(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القفطي، (٨٩/٣).
(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، (١٤٧/١١).
(٤) جامع البيان، ابن جرير، (١٦/١).

رجوع إلى ما تقرر بين العلماء من أصول العقائد، أو أصول الأحكام أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع فيها مادة لم تجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره[١].

والتزم ابن جرير بما اتفق عليه المسلمون في درجات التفسير، فيلجأ أولا إلى تفسير القرآن بالقرآن، ثم إلى تفسير القرآن بالسنة، ثم يتبع ذلك بالآثار الواردة عن الصحابة ﷺ، وعن التابعين، ويجمع الروايات والأقوال المتفقة على حكم أو معنى ثم يبدأ المناقشة والموازنة والمحاكمة بالنقد والترجيح وذكر الشواهد النحوية والأبيات العربية والقراءات[٢].

المبحث الثالث: التعريف بقواعد الترجيح

تعريف الترجيح:

الترجيح لغةً: قال ابن فارس: "الراء والجيم، والحاء: أصل واحد، يدلُّ على رَزَانةٍ، وزيادة، يقال: رَجَحَ الشيء، وهو راجح، إذا رَزَن، وهو من الرجحان"[٣].

ويقال: أَرْجَحَ الميزان: أي أثقله حتى مال، وأرجحت لفلان، ورجحتُ ترجيحاً، إذا أعطيته راجحاً[٤]. ومن تعريفاته عند الأصوليين: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل"[٥].

وقال بعضهم: بيان اختصاص الدليل بمزيد قوة عن مقابله ليعمل بالأقوى[٦].

تعريف القاعدة:

القاعدة لغة: أصل الأسّ، وجمعها قواعد وهي الأساس، وقواعد البيت أساسه، والقواعد أساطين البناء التي تعمده، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركّب عيدان الهودج فيها[٧].

القاعدة اصطلاحا: عرفت بتعاريف كثيرة، منها: أنها الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منه[٨].

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير، ٤/١، وانظر: الإمام ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، لسعيد بن غليفص بن سعيد آل سعد القحطاني، الناشر: مجلة القراءة والمعرفة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، (٣٢-٣٣).

(٢) انظر: الإمام ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، لسعيد بن غليفص القحطاني، (٣٧).

(٣)انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة رجح، (٤٨٩/٢).

(٤)انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة رجح، (٤٤٥/٢)، القاموس المحيط، الفيروز ابادي، مادة رجح، (١٧٩/١).

(٥)انظر :شرح الكوكب المنير، ابن النجار، (٦١٦/٤).

(٦)انظر :البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٤٢٥/٤)

(٧) انظر في مادة قعد: لسان العرب، ابن منظور، (٣٦١/٣) تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٠٢/١) ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٠٩/٥).

(٨)انظر :شرح الكوكب المنير، (٣٠/١).

التعريف بقواعد الترجيح عند المفسرين اصطلاحاً:

هي ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى[١].

التعريف بقاعدة: حمل كلام الله – تعالى – على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٢]:

أي: يفسر القرآن ويحمل على أحسن المحامل، وأفصح الوجوه، فلا يحمل على معنى ركيك، ولا لفظ ضعيف، وإنما يحمل على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة دون الشاذّة والضعيفة، ويحمل على الأكثر استعمالا دون القليل والنادر، ويحمل على المعاني والعادات والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، دون ما حدث واستجد بعد التنزيل؛ وذلك لأن القرآن أفصح الكلام، ونزل على أفصح اللغات وأشهرها، فلا يعدل به عن ذلك كله وله فيها وجه صحيح[٣].

المراد بـ»المعروف من كلام العرب» أي: المستعمل في كلامهم، سواء أكان ذلك الاستعمال مطردا وهو: الذي لا يتخلف البتة، ولا تعرف العرب غيره (١)[٤]، أم غالبا وهو: أكثر الاستعمال عليه؛ لكنه يتخلف أحيانا قليلة[٥].

وعلى كثرة الاستعمال مدار الفصاحة، فما كثر استعماله في ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم فهو الفصيح، فإن تعارض قوة القياس وكثرة الاستعمال، فكثرة الاستعمال هي المقدمة، وقد نص على ذلك كله غير واحد من أئمة العربية[٦].

والمراد بـ (الشاذ والضعيف والمنكر) يجمعها جميعا قلة الاستعمال فالشاذ: هو الذي يكون وجوده قليلا؛ لكن لا يجيء على القياس[٧]، والضعيف: ما انحط عن درجة الفصيح، ويكون في ثبوته كلام[٨]. والمنكر: هو أضعف من الضعيف، وأقل استعمالا بحيث أنكره بعض أئمة اللغة ولم يعرفه[٩].

(١)انظر :قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، (٣٢/١).
(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، (٢٤/٢-٢٥).
(٣)انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي الحربي، (٢٤/٢).
(٤) انظر: الخصائص، ابن جني، (٩٦/١)، والمزهر، السيوطي، (٢٢٦/١)، والأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، (٢٦٠/١)، والكليات، الكفوي، (٥٢٩).
(٥) انظر: الكليات، الكفوي، (٥٢٩).
(٦) انظر: الخصائص، ابن جني، (١٢٤/١ – ١٢٥)، والإصباح في شرح الاقتراح، محمود فجال، (٣٩١)، والمزهر، السيوطي، (١٨٧/١).
(٧) الكليات، الكفوي، (٥٢٨).
(٨) المزهر، السيوطي، (٢١٤/١)، والأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، (٢٦٣/١)، والكليات، الكفوي، (٥٢٩، ٥٧٥).
(٩) المزهر، السيوطي، (٢١٤/١)، والكليات، الكفوي، (٥٧٥).

الفصل الثاني: ترجيحات ابن جرير بناء على قاعدة (الأغلب والمشهور والمعروف من كلام العرب) في سورة يونس وهود ويوسف (عليهم السلام)

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨].

قال ابن جرير[١]:

اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالياء ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالياء أيضًا على التأويل الذي تأولناه، من أنه خبر عن أهل الشرك بالله، يقول: فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه، فليفرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الذي يجمعون، فإن الإسلام والقرآن خيرٌ من المال الذي يجمعون، وقيل: أن الحسن البصري كان يقرأ قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، بالياء: الأول على وجه الخطاب، والثاني على وجه الخبر عن الغائب، وقرأ أبو جعفر القارئ بالتاء جميعًا.

ترجيح ابن جرير:

قال ابن جرير: الصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار من قراءة الحرفين جميعًا بالياء: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه، والثاني: صحته في العربية، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء، وإنما تأمره فتقول: "افعل ولا تفعل"؛ وبعدُ، فإني لا أعلم أحدًا من أهل العربية إلا وهو يستردئ أمر المخاطب باللام، ويرى أنها لغة مرغوب عنها، غير الفراء[٢]، فإنه كان يزعم أن اللّام في الأمر [هي البناء الذي خلق له] واجهتَ به أم لم تُوَاجِهْ، إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجَه، لكثرة الأمر خاصةً في كلامهم، كما حذَفوا التاء من الفعل[٣].قال: وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف، فلما حُذِفت التاء ذهبت اللام، وأُحدِثَت الألف في قولك: "اضرب" و"افرح"، لأن الفاء ساكنة، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكنٍ، فأدخلوا ألفًا خفيفة يقع بها الابتداء، كما قال: ﴿ادَّارَكُواْ﴾[٤].

وهذا الذي اعتلّ به الفراء عليه لا له، وذلك أن العَرب إن كانت قد حذفت اللام في المواجَه وتركتها، فليس لغيرها إذا نطق بكلامها أن يُدْخِل فيها ما ليس منه ما دام متكلِّمًا بلغتها. فإن فعل ذلك، كان خارجًا عن لغتها، وكتابُ الله الذي أنزله على محمد بلسانها،

---

(١) انظر: جامع البيان، (١٠٨/١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن، (٤٦٩/١).

(٣) لام الأمر وتاء المخاطب تحذفان في أمر المواجه طلبًا للتخفيف. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، (٤٧٠/٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٣٨).

فليس لأحدٍ أن يتلوه إلا بالأفصح من كلامها، وإن كان معروفاً بعضُ ذلك من لغة بعضها، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حيّ ولا قبيلة منها؟ وإنما هو دعوى لا تثبتُ بها حجّة ولا صحة[١].

التعليق:

استعمل ابن جرير قاعدة الترجيح بالأفصح والمشهور من لغة العرب، فرجح قراءة الحرفين (يفرحوا- يجمعون) بالياء لإجماع الحجة من القراء عليه، ولصحته في العربية وكونه الأفصح من كلام العرب.

يحكي ابن الجزري القراءات في الآية فيقول: في قوله تعالى:﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ روى رويس بالخطاب، وهي قراءة أُبيّ ﷺ[٢] وقرأ الباقون بالغيب، واختلفوا في ﴿يَجْمَعُونَ﴾ فقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس بالخطاب والباقون بالغيب[٣].

وجاءت أقوال العلماء في بيان آرائهم تجاه قراءة الغيب والخطاب، فقال الفراء: كان الكسائي يعيب قولهم: "فلتفرحوا"؛ لأنه وجده قليلا فجعله عيبا[٤].

وقال الزمخشري[٥] عن القراءة بالتاء: هي الأصلُ والقياس، وقال أبو حيَّان[٦]: إنَّها لغةٌ قليلة، يعني أنَّ القياسَ أن يُؤمَرَ المخاطب بصيغةِ (افعل).

وقال ابن عادل: (الأمر باللاَّم يكثر في الغائب، والمخاطب المبنيِّ للمفعول، مثال الأول: «لِيقم زيدٌ» وكالآية الكريمة في قراءة الجمهور، ومثال الثاني: لِتُعْنَ بحاجتي)[٧].

وقال ابن قاسم المرادي: فعل الفاعل إن كان للمخاطب فللأمر به طريقان: الأولى بصيغة افعل، وهذا هو الكثير، نحو: اعلم. والثانية باللام، وهو قليل، قال بعضهم: وهي لغة رديئة[٨]. وقال الزجاجي: لغة جيدة[٩]، ومن ذلك قراءة عثمان، وأُبيّ، وأنس ﷺ: فبذلك فلتفرحوا[١٠].

قال الزبيدي: لام الأمر أكثر ما استعملت في غير المخاطب وإن جاءت للمخاطب لم ينكر، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾[١١].

---

(١) انظر: جامع البيان، (١٠٨/١٥).
(٢) حديث حسن أخرجه أبو داوود في سننه، في كتاب أول كتاب الحروف، (١٠٧/٦)، ح(٣٩٨١).
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر، (٢٨٥/٢).
(٤) انظر: معاني القرآن، (٤٦٩/١).
(٥) الكشاف، (٢٥٣/٢).
(٦) انظر: البحر المحيط، (٧٦/٦).
(٧) اللباب لابن عادل، (٣٥٨/١٠).
(٨) الجنى الداني في حروف المعاني، لابن قاسم المرادي، (١١١).
(٩) انظر: الإيضاح في علل النحو: للزجاجي، (٩١).
(١٠) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، لابن قاسم المرادي، (١١١).
(١١) انظر: تاج العروس، الزبيدي، (٤٥٦/٣٣).

فتفاوتت آراء العلماء، وجاء ترجيح ابن جرير القراءة بالياء لإجماع الحجة من القراء عليها، ولأنها الأفصح من كلام العرب.

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣]

قال ابن جرير:

زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل: "فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه"، لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط، فقيل لهم "الذرية"، من أجل ذلك، كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم: "أبناء"(١).

ترجيح ابن جرير:

قال ابن جرير: والمعروف من معنى "الذرية" في كلام العرب: أنها أعقاب من نسبت إليه من قبل الرجال والنساء، كما قال جل ثناؤه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ٱلْحَرَامِ(٢)، وكما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ثم قال بعد: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ لَهُۥ(٣)، فجعل من كان من قبل الرجال والنساء من ذرية إبراهيم؛ وفي قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ الدليلُ الواضح على أن الهاء في قوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ من ذكر موسى لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام، "على خوف منه"، ولم يكن ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾(٤).

التعليق:

رجّح ابن جرير أن المراد بمن اتبع موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ قول مجاهد في الذرية: أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون، لعود الضمير على أقرب المذكورين، وبناءاً على المعروف من لغة العرب من أن معنى "الذرية" يطلق على أعقاب من نسبت إليه من قبل الرجال والنساء.

وبالرجوع إلى معاجم اللغة، نجدها تؤكد ما ذهب إليه ابن جرير، يقول ابن منظور: الذرية: اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى، وقال في موضع آخر: هي (نَسْلُ الثَّقَلَيْن)(٥)، وأصلها الهمز لكنهم حذفوه فلم يستعملوها إلا غير مهموزة، وقيل: أصلها من الذر بمعنى التفريق لأن الله تعالى ذرهم في الأرض(٦).

---

(١) جامع البيان، (١٦٦).
(٢) سورة الإسراء، الآية: (٣).
(٣) سورة الأنعام، الآيات: (٨٤ – ٨٥).
(٤) جامع البيان، (١٦٥-١٦٦).
(٥) مادة ذرأ، (٨٠/١).
(٦) مادة ذرر، (٣٠٤/٤).

وقال الراغب: الذُّرِّيَّة أصلها: الصّغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصّغار والكبار معا في التّعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع[١].

وفي الكليات للكفوي: الذُّرِّيَّة: هي إما (فعلية) من الذر أو (فعولة) من الذرء، ومعناها لغة: قيل نسل الثقلين، وقيل: ولد الرجل، وقيل: من الأضداد، تجيء تارة بمعنى الأبناء، وتارة بمعنى الآباء؛ ويتناول أولاد البنات[٢].

وجاءت بعض أقوال المفسرين على ما رأى ابن جرير، يقول الزمخشري: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾إلا طائفة من ذراري بنى إسرائيل، كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه. وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف. وقيل: الضمير في قومه لفرعون، والذرية: مؤمن آل فرعون، وآسية امرأته، وخازنه، وامرأة خازنه، وما شطت[٣].

وبنحوه قال النحاس[٤]، والقرطبي[٥]، والرازي[٦]، وابن عاشور[٧]، وغيرهم.

المبحث الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]

قال ابن جرير:

اختُلِف في تأويل قوله: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: فقيل: واجعلوا بيوتكم مساجدَ تصلُّون فيها، وقيل: واجعلوا مساجدكم قِبَل الكعبة، وقيل: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضًا[٨].

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر: أولى الأقوال في ذلك بالصواب: اجعلوا بيوتكم مساجدَ، وذلك أن الأغلب من معاني (البيوت) البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد، لأن "المساجد" لها اسم معروفة به، خاصٌّ لها وهو: "المساجد"، فأمّا "البيوت" المطلقة بغير وصلها بشيء، ولا إضافتها إلى شيء، فالبيوت المسكونة؛ وكذلك "القبلة" الأغلب من استعمال الناس إيّاها في قبل المساجد وللصلوات، فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به، دون الخفيّ المجهول، ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك، ولم يكن على قوله:

(١) المفردات، مادة ذرو، (٣٢٧).
(٢) الكليات، الكفوي، (٤٦٢).
(٣) الكشاف، (٣٦٣/٢).
(٤) انظر: إعراب القرآن، (١٥٥/٢).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٩/٨)
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٨٨/١٧)
(٧) انظر: التحرير والتنوير، (٢٥٨/١١-٢٥٩)
(٨)انظر: جامع البيان، (١٧٠/١٥-١٧٦).

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، دلالةٌ تقطع العذرَ بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا[1].

التعليق:

رجّح ابن جرير بقاعدة الأغلب المشهور من كلام العرب؛ وجعل المراد بقوله تعالى: (اجعلوا بيوتكم قبلة) البيوت المسكونة تجعل مساجد، لأنه الأغلب من الوجوه المستعملة بين أهل اللسان الذي نزل به القرآن، إذ المشهور لغة أن البيوت البيوت المسكونة؛ كذلك (القبلة) الأغلب من استعمال الناس إيّاها في قبل المساجد وللصلوات.

وبالرجوع إلى معاجم اللغة، نجدها تؤكد ما ذهب إليه ابن جرير، جاء في لسان العرب[2]: الخِباءُ: بيت صغير من صوف أو شعر، فإذا كان أكبر من الخباء، فهو بيت، ثم مظلة إذا كبرت عن البيت، وهي تسمى بيتا أيضا إذا كان ضخما مروقا.

وقال الجوهري: البيت معروف[3]. وفي التهذيب: وبيت الرجل داره، وبيته قصره[4].

وجاء في معجم مقاييس اللغة: (الباء والياء والتاء أصل واحد، وهو المأوى والمآب ومجمع الشمل. يقال بيت وبيوت وأبيات)[5].

وقال الراغب: أصل البيت: مأوى الإنسان بالليل، لأنه يقال: بَاتَ: أقام بالليل، كما يقال: ظلّ بالنهار ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه، وجمعه أَبْيَات وبُيُوت، لكن البيوت بالمسكن أخصّ، والأبيات بالشعر. قال تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[6].

وفي معنى (قبلة) جاء في لسان العرب: (القبلة: التي يصلى نحوها)[7]، وفي معجم مقاييس اللغة: (القبلة سميت قبلة لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقبلة عليهم أيضا)[8].

وجاءت بعض أقوال المفسرين على ما رأى ابن جرير، يقول ابن الأنباري: المعنى: اجعلوا بيوتكم قبلا، أي: مساجد؛ فأطلق لفظ الواحد، والمراد: الجمع[9]، وقال ابن عطية:

(١) جامع البيان، (١٥/١٧٥-١٧٦).
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة بيت، (١٤/٢).
(٣)انظر: الصحاح، مادة بيت، (٢٤٤/١).
(٤)انظر: تهذيب اللغة، مادة بيت، (٢٨/١٤).
(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة بيت، (٣٢٤/١).
(٦)انظر: المفردات، (١٥١).
(٧) لسان العرب، مادة قبل، (٥٤٥/١١).
(٨)انظر: معجم مقاييس اللغة، (٥٢/٥).
(٩) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (٣٩٥/١٠).

خافوا فأمروا بالصلاة في بيوتهم، وقال: هذا القول أصوب[1]، وقال القاسمي: أي مصلى[2].

ولم يرتض القول الذي قال به ابن جرير ابن عاشور فقال: الذين فسروا البيوت بأنها بيوت السكنى فسروا قبلة: إما بمعنى متقابلة، وإما بمعنى اجعلوا بيوتكم محل صلاتكم، وكلا التفسيرين بعيد عن الاستعمال[3].

ورأى القرطبي رأى رأيا آخر جعله القول الأصح ونسبه إلى أكثر المفسرين، يقول: قال أكثر المفسرين كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذا لبني إسرائيل بيوتا بمصر، أي مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة، هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم، وهو القول الأصح[4].

المبحث الرابع: قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[هود: ٤٠]

قال ابن جرير:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: انبجس الماء من وجه الأرض، وقال آخرون: هو تنويرُ الصبح، من قولهم: نوّرَ الصبح تنويرً، وقال آخرون: فار أعلى الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء، وقال آخرون: هو التنور الذي يُخْتَبز فيه[5].

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر: (وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله تعالى: ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجّة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى مَا خاطبهم به[6]).

(١) المحرر الوجيز، (١٣٨/٣).
(٢) محاسن التأويل، (٥٦/٦).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٢٦٦/١١).
(٤) انظر: الجامع لأحاكم القرآن، (٣٧١/٨)، وكذا قال البغوي في معالم التنزيل، انظر: (١٤٦/٤).
(٥)انظر: جامع البيان، (٣١٨/١٥-٣٢٠).
(٦) جامع البيان، (٣٢١/١٥).

التعليق:

رجّح ابن جرير بقاعدة الأغلب الأشهر من المعاني عند العرب، فجعل المراد بالتنور: التنور الذي يخبز فيه، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب.

وبالرجوع إلى كتب اللغة نجد أن التنور في استعمال اللغة يطلق على ما يُخبز فيه، ففي لسان العرب: التنور: نوع من الكوانين[1]، وفي الصحاح: التنور الذي يخبز فيه[2].

وفي معجم مقاييس اللغة: النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، منه النور والنار، سميا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربا سريع الحركة[3].

وبه قال الفراء[4]؛ وجعله البغوي قول أكثر المفسرين[5]، إلا أن الزجاج والنحاس[6] جمعا بين الأقوال، ولم يرجحا، وقالا: ليست بمتناقضة لأن الله قد خبرنا ان الماء قد جاء من السماء والأرض، فقال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾[7]، فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة.

المبحث الخامس: قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]

قال ابن جرير:

يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم، فـ﴿مِنْ﴾ في ﴿مَن رَّحِمَ﴾ في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يَعصم اليوم من أمر الله إلا الله.

وقد اختلف أهل العربية في موضع ﴿مِنْ﴾ في هذا الموضع، فقال بعض نحويي الكوفة[8]: هو في موضع نصب، لأن المعصوم بخلاف العاصم، والمرحوم معصوم؛ ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم كأنك قلت: لا معصوم اليوم من أمر الله لَجازَ رفع (مَن)، ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى قوله: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[9]، فمعناه والله أعلم: مدفوق.

---

(١)انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة تنر، (٩٥/٤).

(٢)انظر: الصحاح، الجوهري، مادة تنر، (٦٠٢/٢).

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة نور، (٣٦٨/٥).

(٤) انظر: معاني القرآن، الفراء، (١٤/٢).

(٥)انظر: معالم التنزيل، البغوي، (١٧٦/٤).

(٦) انظر: معاني القرآن، النحاس، (٣٤٨/٣)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٥١/٣).

(٧) سورة القمر، الآيات: (١١ – ١٢).

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء، (١٥/٢-١٦).

(٩) سورة الطارق، الآية: (٦).

وقال بعض نحويّي البصرة: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ على: "لكن من رحم"، ويجوز أن يكون على: لا ذا عصمة: أي: معصوم، ويكون ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، رفعًا بدلا من "العاصم"(١).

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر(٢): (ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء، لأن كلام الله تعالى إنما يُوَجَّه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه، ما وُجِد إلى ذلك سبيل.

ولم يضطرّنا شيء إلى أن نجعل "عاصمًا" في معنى "معصوم"، ولا أن نجعل "إلا" بمعنى "لكن"، إذ كنا نجد لذلك في معناها الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مخرجًا صحيحًا، وهو ما قلنا من أنّ معنى ذلك: قال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمَنا فأنجانا من عذابه، كما يقال: (لا مُنجي اليوم من عذاب الله إلا الله)، و(لا مطعم اليومَ من طعام زيد إلا زيد)، فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم).

التعليق:

رجّح ابن جرير معتمدا على قاعدة (حمل كلام الله على المعروف المشهور من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر)، فجعل معنى الآية: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم.

ويرى بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ يحتمل معنيين: لا عاصم إلا الراحم وهو الله، ولا معصوم إلا الناجي، والآية تحتمل هذه المعاني وسياقها كذلك يؤكد احتمالها لهذه المعاني؛ لكن ابن جرير رجّح المعنى الأول، وخرّج اسم الفاعل على صورته الظاهرة وأبقى المعنى، فأبقى الصيغة والمعنى وأقرّهما، أما غيره من المفسرين فأوّلوا المعنى على صيغة المفعول، وجعلوا عاصم بمعنى معصوم، وبعضهم جعل الاستثناء منقطع كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم(٣).

وقد حكى الأقوال الزمخشري(٤).

وقال ابن عاشور: (واستثناء ﴿مَن رَّحِمَ﴾ من مفعول يتضمنه ﴿عَاصِمَ﴾ إذ العاصم يقتضي معصوما وهو المستثنى منه، وأراد بـ﴿مَن رَّحِمَ﴾ من قدر الله له النجاة من

(١)انظر: جامع البيان، (٣٣٣/١٥-٣٣٤).

(٢) جامع البيان، (٣٣٣/١٥).

(٣) الاحتمالات الممكنة أربعة: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم، ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم. فالأولان استثناء من الجنس، والآخران من غير الجنس. وزاد الزمخشري خامسا، وهو لا عاصم إلا مرحوم، على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف، تقديره: لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم. والمارد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل، وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز، وبعضها أقرب من بعض، والله أعلم. انظر: الكشاف للزمخشري، (٣٩٧/٢).

(٤) انظر: الكشاف، (٣٩٧/٢).

الغرق برحمته، وهذا التقدير مظهره الوحي بصنع الفلك والإرشاد إلى كيفية ركوبه)[1].

وقال القرطبي: قال النحاس: ومن أحسن ما قيل فيه أن تكون ﴿مِنۡ﴾ في موضع رفع، بمعنى لا يعصم اليوم من أمر الله إلا الراحم، أي إلا الله. وهذا اختيار الطبري. ويحسن هذا أنك لم تجعل عاصما بمعنى معصوم فتخرجه من بابه، ولا إنه بمعنى لكن[2].

وقال الفراء: لا يُنكر أن يخرج المفعول على فاعل، فيكون المعنى: لا معصوم اليوم من أمر الله[3].

وقيل إنّه: (ليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم، وإنّما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان، فأيُّهُما حصل حصل معه الآخر)[4].

فابن جرير رجّح معنى الآية بناء على الأسلوب المعروف المشهور من كلام العرب، وهو بقاء اسم الفاعل والاستثناء على أصله.

وهو كما قال، إذ أن مَنْ ذهب إلى بقاءه على معنى اسم الفاعل جعل معنى (عاصم): مانع، والصحيح أنَّ (العَصْم): الإمساك؛ لأنّه مشتق من (العُصُم): وهي ما يُشدّ بها الحِبال من نتوءات تعمل في القِربة ونحوها ليُمكن الشدّ بها إذا حُمِلت على ظهر البعير ثم يُروى عليها[5]. فيكون معنى: (لا عاصم) على هذا الأصل، أي: لا يوجد ثَمَّة شيء يحفظ المعتصم به من الماء، وإن كان هذا المُلتجَأ إليه جبلاً عالياً، فلمّا انتفى وجود العاصم انتفى وجود المعصوم، فيكون التعبير عن هذا المعنى باسم الفاعل (عاصم) أبلغ في نفي العِصمة عن العاصين، والدليل على كون (عاصم) معدولاً عن (معصوم) الاستثناء المتصل على اعتبار (مَنْ) في محل نصب على الاستثناء، فيصير المعنى: لا معصوم من أمر الله وهو الغرق والهلاك إلاّ الذين رحمهم الله فأنجاهم في السفينة[6].

(١)انظر: التحرير والتنوير، (٧٧/١٢).

(٢)انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤٠/٩)؛ وانظر: معاني القرآن، النحاس، (٢٥٣/٣)و إعراب القرآن، النحاس، (١٧٠/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن، الفراء، (١٥/٢).

(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني، (٥٦٩ – ٥٧٠).

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٤٠٧/١٢).

(٦) انظر: التبيان في اعراب القرآن، العكبري، (٧٠٠/٢)؛ وانظر: العدول الصرفي في القرآن الكريم – دراسة دلالية، هلال علي محمود الجحيشي، (٨٠).

المبحث السادس: قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]

قال ابن جرير:

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء العراق والحجاز: (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ)، برفع (يعقوب)، ويعيد ابتداء الكلام بقوله ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، وذلك وإن كان خبرًا مبتدأ، ففيه دلالة على معنى التبشير.

وقرأه بعض قراء أهل الكوفة والشام، ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ نصبًا(١).

وتوجيه القراءة عند قراء الشام: النحو بـ(يعقوب) نحو النصب بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة، كأنه قال: ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب، فلما لم يظهر "وهبنا" عمل فيه "التبشير" وعطف به على موضع "إسحاق"، إذ كان "إسحاق" وإن كان مخفوضًا، فإنه بمعنى المنصوب بعمل "بشرنا" فيه(٢).

وأما توجيه القراءة عند قراء الكوفة: تأويل الخفض فيما ذكر، غير أنهم نصبوه لأنه لا يجرى. وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة(٣)حرف الجر بين حرف العطف والاسم، وقالوا: خطأ أن يقال: "مررت بعمرٍو في الدّار وفي الدار زيد" وأنت عاطف بـ"زيد" على "عمرو"، إلا بتكرير الباء وإعادتها، فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع، وجاز النصب، فإن قُدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض، وقد أجاز الخفضَ والصفةُ معترضةٌ بين حرف العطف والاسم، بعضُ نحويي البصرة(٤).

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر:(أولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه رفعًا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية وما عليه قراءة الأمصار. فأما النّصب فيه فإن له وجهًا، غير أنّي لا أحبُّ القراءة به، لأن كتاب الله نزلَ بأفصح ألسُن العرب، والذي هو أولى بالعلم بالذي نزل به من الفصاحة(٥)).

(١)انظر: جامع البيان، (٣٩٦/١٥).

(٢)انظر: جامع البيان، (٣٩٦/١٥)، وانظر: الكتاب، سيبويه، (١٤٧/١)، ومعاني القرآن، الفراء، (٢٢/٢).

(٣) الصفة في عُرف ابن جرير: حرف الجر.

(٤)انظر: جامع البيان، (٣٩٧/١٥).

(٥) جامع البيان، (٣٩٧/١٥).

التعليق:

رجّح ابن جرير قراءة الرفع، لأنها قراءة جاءت على المعروف من كلام العرب.

وفي نسبة القراءات قال ابن مجاهد وابن الجزري: قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وشعبة والكسائي ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ رفعا، وَقَرَأَ ابْن عَامر وحفص وَحَمْزَة ﴿يَعْقُوبَ﴾ نصبا[١].

وقد فصّل أبو حيان في بيان الآية تفصيلا فيه غُنْيَة وكفاية، يقول[٢]: قُرِئ بالرفع على الابتداء و﴿وَمِن وَرَآءِ﴾ الخبر كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب كائن، وقدره الزمخشري مولود أو موجود[٣]، وقال النحاس: والجملة حال داخلة في البشارة، أي: فبشرناها بـ إسحاق متصلا به يعقوب. [٤]

وأجاز أبو علي الفارسي أن يرتفع بالجار والمجرور[٥]، كما أجازه الأخفش[٦].

وقالت فرقة: رُفع على القطع بمعنى: ومن وراء إسحاق يحدث يعقوب. وقال النحاس[٧]: يجوز أن يكون فاعلا بإضمار فعل تقديره: ويحدث من وراء إسحاق يعقوب، وقال ابن عطية: وعلى هذا لا تدخل البشارة، ولا حاجة إلى تكلف القطع والعدول عن الظاهر المقتضي للدخول في البشارة؛ وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص: يعقوب بالنصب[٨]. انتهى كلام أبي حيان

وأيّد وجه القراءة بالنصب الزمخشري وقال: نصب (يعقوب)كأنه قيل ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، على تقدير أنّ (بشّرنا) بمعنى: وهبنا، وتوهم أنّ الباء من (بإسحاق) قد سقطت لأن الفعل وهبنا متعدٍّ بنفسه، فيكون يعقوب منصوبًا بالعطف على ذلك التَّوهُّم[٩].[١٠]

ومن النُّحاة من أجاز ذلك كالسّمين الحلبي[١١]، وأبي حيّان الأندلسي[١٢]، ولكنهما أشارا إلى أن الحمل على التوهم لا ينقاس.

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، (٣٣٨)، النشر في القراءات العشر، (٢٩٠/٢).

(٢) انظر: البحر المحيط، (١٨٣/٦).

(٣) انظر: الكشاف، (٤١١/٢).

(٤) انظر: إعراب القرآن، النحاس، (١٧٦/٢).

(٥) انظر: الحجة للقراء السبعة، (٣٦٤/٤).

(٦) انظر: معاني القرآن، (٣٨٥/١).

(٧) انظر: إعراب القرآن، (١٧٦/٢).

(٨) انظر: البحر المحيط، (١٨٣/٦).

(٩) ليس المراد بالتوهّم (الغلط)، بل المراد به: العطف على المعنى، أي: جوّز العربيّ في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه، فعطف ملاحظًا له، وهو مقصد صواب انظر: الكليات، الكفوي، (١٠١٠)، وبيّنه الرّماني بقوله: إن العطف على الوهم أو التّأويل: هو الحمل على معنى كلام يخالف المذكور في الإعراب، ويوافقه في المعنى. انظر: الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، (٤٣١).

(١٠) انظر: الكشاف، (٤١١/٢).

(١١) الدّر المصون، السمين الحلبي، (١١٤/٤).

(١٢) انظر: البحر المحيط، (١٨٣/٦).

ومن العلماء من جعل النصب على إضمار فعل تقديره: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق وهبنا لها يعقوب كالفرّاء[١]، والنحّاس في "إعراب القرآن"[٢]، ووافقه السمين الحلبي[٣]، وأبو حيان الأندلسي[٤]، حيث ذكرا أنّ ذلك مذهب أبي علي الفارسي، مكّي بن أبي طالب في كتابه مشكل إعراب القرآن[٥]، وابن عطيّة في كتابه المحرّر الوجيز [٦]، وابن هشام في مغني اللبيب[٧].

وأمّا في كتب القراءات، فقد ذكر ابن خالويه[٨]: أنّ مَنْ قرأ (يعقوب) بالنصب: حمزة، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع، ومن نصب جعله عطفًا على (فبشّرناها)، كأنه جعل الكلام بمعنى الهبة، أي: "وهبنا له يعقوب"، وقال بعض النحويين: ومن حمل (يعقوب) على الخفض، فإنّه لا ينصرف، وهذا غلط عند البصريين، لأنك لا تعطف على عاملين، ومن رفع (يعقوب) فعلى الابتداء، ونسب مكّي بن أبي طالب القراءة بالخفض للكسائيّ.

وذهب ابن غلبون في كتابه "التذكرة في القراءات[٩]: إلى إضمار فعل، على تقدير: "فبشّرناها بإسحاق ووهبنا لها يعقوب من ورائه"، ولذلك يُكرَهُ القطع بالرفع على الابتداء".

وذهب العكبري في كتابه "إعراب القراءات الشواذ"[١٠] إلى أن (يعقوب) يُقرأُ بالنصب، والرفع، وهما في السبعة، ويقرأ (بيعقوبٍ) بزيادة "الباء" والجرّ والتنوين، في معاني القرآن للفرّاء، ولكنَّ صَرْفَ (يعقوب) بالتنوين بعيدٌ، لأنه معرفةٌ أعجميّ.

فخلاصة الأقوال: القراءة بالرفع على القطع والابتداء، أو بالارتفاع على الفاعلية بالظرف، والقراءة بالنصب بإضمار الفعل، على تقدير: (فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق وهبنا لها يعقوب)، وأمّا القراءة بالجرِّ، فبعطف (يعقوب) على لفظ (بإسحاق) وهي قراءة شاذّة ولا يقاس عليها وأنا أصِل إلى ما رجحه ابن جرير من القراءة بالرفع لأنها على طريقة الكلام المعروف من كلام العرب، والعلم عند الله.

---

(١) معاني القرآن الفرّاء، (٢٢/٢).
(٢)انظر: إعراب القرآن،النحاس، (٢٩٣/٢).
(٣)الدر المصون، السمين الحلبي، (١١٤/٤).
(٤) انظر: البحر المحيط، (١٨٣/٦).
(٥)انظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، (٤٠٩/١).
(٦)انظر: المحرّر الوجيز ، ابن عطية، (١١٤/٤).
(٧)انظر: مغني اللبيب، ابن هشام ،(٦٢٢).
(٨)إعراب القراءات السبع وعللها ،ابن خالويه، (٢٨٨/١ – ٢٨٩).
(٩)التذكرة في القراءات ، ابن غلبون، (٤٦٠/٢).
(١٠)إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، (٦٦٦/١).

المبحث السابع: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ وَبِئْسَ [هود:١٠٨]

قال ابن جرير(١):

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: من قدر ما مكثوا في النار قبل دخُولهم الجنة. قالوا: وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة، وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، من الزيادة على قدر مُـدّة دوام الـسماوات والأرض، قالوا: وذلك هو الخلود فيها أبدًا.

واختلف أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع، فقال بعـضهم فـي ذلـك معنيان: أحدهما: أن تجعله استثناءً يستثنيه ولا يفعلـه، كقولـك: "والله لأضـربنّك إلا أن أرى غير ذلك"، وعزمُك على ضربه، قال: فكـذلك قـال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاؤه -وهو أعلم-، والقول الآخر: أنّ العرب إذا اسـتثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه كان معنى ﴿إِلَّا﴾ ومعنى (الواو) سواء، فمـن كان قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: سوى ما شاء الله من زيـادة الخلـود يجعل ﴿إِلَّا﴾ مكان (سوى) فيصلح، وكأنه قال: "خالـدين فيهـا مـا دامـت الـسموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد"، قال ابن جرير: وهذا أحبُّ الـوجهين إلـيّ، لأنّ الله لا خُلْفَ لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٢)، فدلّ علـى أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود غير منقطعٍ عنهم.

وقال آخرون بنحو هذا القول، وقالوا: جائز فيه وجه ثالثٌ: وهو أن يكـون اسـتثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعـث وهـو البـرزخ، إلـى أن يصيُروا إلى الجنة، ثم هو خلود الأبد، فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرْزَخ.

وقال آخرون: جائز أن يكون دوام السماوات والأرض، بمعنى: الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من داومها، لأنّ أهل الجنة وأهل النار قد كـانوا فـي وقت من أوقاتِ دوام السماوات والأرض في الدنيا لا في الجنة، فكأنه قال: خالدين فـي الجنة، وخالدين في النار، دوامَ السماء، والأرض، إلا ما شاء ربُّك من تعميرهم في الدنيا قبلَ ذلك.

---

(١)انظر: جامع البيان، (١٥/٤٨٧-٤٨٩).

(٢) سورة هود، الآية: (١٠٨).

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر[١]: (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القولُ بأن معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ وَبِئْسَ[٢]﴾ من قدر مُكْثِهم في النار، من لدن دخلوها إلى أن ادخلوا الجنة؛ وتكون الآية معناها الخصوص، لأن الأشهر من كلام العرب في "إلا" توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالةٌ تدلُّ على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام – أعني في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ – تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيُوَجَّه إليه).

التعليق:

رجّح ابن جرير معتمدا على الأشهر من كلام العرب، فرجح بقاء الاستثناء على معناه وإخراج معنى ما بعده مما قبله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، وجعل المعنى: أي: من قدر مُكْثِهم في النار من لدن دخلوها إلى أن ادخلوا الجنة؛ حيث أن الأشهر من كلام العرب في (إلا) بقاؤها على معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها.

وبالرجوع إلى معنى الآية عند المفسرين نجد تفاوت أقوالهم، نُورِدُ بعضا منها[٣]:

يقول القرطبي: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في موضع نصب، لأنه استثناء ليس من الأول، وقد اختلف فيه على أقوال عشرة[٤].

وقال القاسمي: للمفسرين هنا وجوه كثيرة، أحقها وأبدعها أن الاستثناء بالمشيئة قد استعمل في أسلوب القرآن، للدلالة على الثبوت والاستمرار، والنكتة في الاستثناء بيان أن هذه الأمور الثابتة الدائمة إنما كانت كذلك بمشيئة الله تعالى بطبيعتها في نفسها، ولو شاء تعالى أن يغيرها لفعل[٥].

وقد أشار لهذا ابن كثير[٦] بقوله: يعني أن دوامهم ليس أمرا واجبا بذاته، بل موكول إلى مشيئته تعالى.

---

(١) جامع البيان، (٤٨٩/١٥).

(٢) سورة هود، الآية: (١٠٨).

(٣) يطول القول إذا ما تم نقل هذه الأوجه فليرجع إليها في مظانها في كتب التفاسير.

(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٩٩/٩).

(٥)انظر: محاسن التأويل، (١٣١/٦).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، (٣٠٢/٤).

وابن عطية[1] بقوله: هذا على طريق الاستثناء الذي ندب الشارع إلى استعماله في كل كلام، كقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] فليس يحتاج أن يوصف بمتصل ولا منقطع.

وابن عاشور بقوله: يحتمل معنيين: أحدهما: إلا ما شاء ربك في أول أزمنة القيامة، وهي المدة التي يدخل فيها عصاة المؤمنين غير التائبين في العذاب إلى أن يعفو الله عنهم بفضله بدون شفاعة، أو بشفاعة، ويحتمل أن يقصد منه التحذير من توهم استحقاق أحد ذلك النعيم حقا على الله بل هو مظهر من مظاهر الفضل والرحمة[3].

وخرج الرازي[4] بقول مغاير فقال: (في هذه الآية لم يحصل هذا الإجماع، فوجب إجراؤها على ظاهرها، فهذا تمام الكلام في هذه الآية)؛ واسترسل الزمخشري في التشنيع على أهل السنة في هذا الصدد[5].

فترجيح بقاء (إلا) على معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، هو الأشهر من كلام العرب على ما ذكر ابن جرير في ترجيحه.

المبحث الثامن: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ وَغَلَّقَتِ [يوسف: ٢٣]

قال ابن جرير:

اختلفت القراءات في ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة: (هَيْتَ لَكْ) بفتح الهاء والتاء، بمعنى: هلمّ لك وادن وتقرّب، وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين: (هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء وضم التاء والهمزة، بمعنى: تهيّأت لك، وقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة: "هِيْتَ لَكَ" بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وقرأه بعض المكيين: "هَيْتُ لَكَ" بفتح الهاء وإسكان الياء وضم التاء، وقرأه بعض البصريين (هَيْتِ لَكَ) بفتح الهاء وكسر التاء[6].

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر: وأولى القراءة في ذلك، قراءة من قرأه: (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء، وتسكين الياء، لأنها اللغة المعروفة في العرب دون غيرها، وأنها فيما ذُكِر قراءة رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٢٠٨/٣).

(٢) سورة الفتح، الآية: (٢٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٦٦/١٢).

(٤) مفاتيح الغيب، (٤٠٣/١٨).

(٥) انظر: الكشاف، (٤٣٠/٢ وما بعدها).

(٦) جامع البيان، (٢٥/١٦)، وانظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، (٣٤٧)، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٢٩٣/٢-٢٩٥)، وقال: والصواب أن هذه السبع القراءات كلها في لغات في هذه الكلمة، وهي اسم فعل بمعنى هَلُمَّ، وليست في شيء منها فعلا، ولا التاء فيها ضمير متكلم ولا مخاطب.

التعليق:

رجّح ابن جرير القراءة بفتح الهاء والتاء وتسكين الياء، وعلل ترجيحه بأن هذه القراءة جاءت اللغة المعروفة في العرب دون غيرها؛ وجعلها النحاس من أصح القراءات إسنادا، وأنها قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ، يقول الأعمش فيما رواه عن أبي وائل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ "هَيْتَ لَكَ" قال فقلت: إن قوما يقرءونها "هِيتَ لَكَ" فقال: إنما أقرأ كما علمت(١).

وقَالَ –أي: النحاس–: وبعضهم يقول عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، ولا يبعد ذلك، لأن قوله: إنما أقرأ كما علمت يدل على أنه مرفوع، وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة(٢).

وعلى هذا يقول ابن منظور: (تقول العرب: هَيْتَ للحِلْم وهَيْتَ لَكَ وهِيتَ لكَ أي أقبل. وقال الله ﷻ، حكاية عن زليخا أنها قالت لما راودت يوسف ﷺ عن نفسه: هَيْتَ لَك، أَي هَلُمَّ وقد قيل: هَيْتُ لَكَ، وهَيْتِ، بضم التاء وكسرها)(٣).

وقال ابن خالويه: (الحجة لمن فتح الهاء والتاء: أنه جعلها مثل الهاء في (هلمّ) وفتح التاء، لأنها جاءت بعد الياء الساكنة كما قالوا: (أين) و(ليت))(٤).

وقال الزجاج: أجْودها وأكثرها قراءة هَيْتَ لَكَ، بفتح الهاء والتاء، وهو أكثر كلام العرب(٥).

وقال أبو علي الفارسي: والمفتوحة –يعني القراءة بفتح الهاء والتاء –في ذا المعنى أكثر اللغات(٦).

---

(١) أخرج البخاري بنحوه في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣]، (٧٧/٦)، ح(٤٦٩٢).

(٢) إعراب القرآن للنحاس، (١٩٨/٢).

(٣) لسان العرب، مادة هيت، (١٠٥/٢).

(٤) الحجة في القراءات السبع، (١٩٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، (١٠٠/٣).

(٦) انظر: الحجة للقراء السبع، (٤١٧/٤).

المبحث التاسع: قوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ تَأْيَسُواْ [يوسف: ٨٨]

التفسير:

قال ابن جرير: قالوا: تفضل علينا بما بَيْنَ سعر الجياد والرديّة، فلا تنقصنا من سعر طَعامك لرديِّ بضاعتنا، وقال آخرون: تصدق علينا بردّ أخينا إلينا(١).

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر: القول بأن المراد: ردّ أخينا إلينا -وإن كان قولا له وجه- ليس بالقول المختار في تأويل قوله: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ تَأْيَسُواْ، لأن الصدقة في متعارف العرب إنما هي إعطاء الرجل ذا حاجة بعض أملاكه ابتغاءَ ثواب الله عليه، وإن كان كلّ معروف صدقةً، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى(٢).

التعليق:

رجّح ابن جرير بالأغلب من متعارف العرب، وجعل توجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من استعمال العرب له، فجعل معنى الصدقة إعطاء ما يمتلكه المرء ابتغاءَ ثواب الله عليه؛ وعلى هذا المعنى جاءت كتب اللغة، يقول ابن فارس: الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولا وغيره، ومن الباب الصدقة: ما يتصدق به المرء عن نفسه وماله(٣).

و يقول ابن منظور: الصدقة ما أعطيته في ذات الله للفقراء، وفي التنزيل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ تَأْيَسُواْ قيل: أي: تفضّل بما بين الجيد والرديء كأنهم يقولون: اسمح لنا قبول هذه البضاعة على رداءتها أو قِلّتها(٤).

وجاءت بعض أقوال المفسرين(٥) بهذا المعنى، يقول الزمخشري: تفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو زدنا على حقنا(٦).

فالأغلب من عرف العرب في معنى الصدقة: إعطاء ما يمتلكه المرء ابتغاءَ ثواب الله عليه على ما رجّح ابن جرير من تأويل كلام الله إلى الأغلب من استعمال العرب، والله أعلم.

---

(١) جامع البيان، (١٤١/١٦-١٤٣).

(٢) جامع البيان، (١٤٢/١٦-١٤٣).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة صدق، (٣٣٩/٣).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة صدق، (٢٢٢/٨).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٥٠٣/١٨)، وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٥٤/٩).

(٦) انظر: الكشاف، (٥٠٠/٢).

المبحث العاشر: قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾[يوسف: ٩٩]

قال ابن جرير:

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ قيل: أبوه وخالتُه، لأن أم يوسف قد ماتت، وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالتُه أخت أمه، كان نكحها بعد أمِه –قال ابن جرير: ولم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها– وقال آخرون: بل كان أباه وأمه[١].

ترجيح ابن جرير:

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب أباه وأمه، لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في (أبوين)، إلا أن يصح ما يقال من أنّ أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحُجة يجب التسليم لها، فيسلّم حينئذ لها[٢].

التعليق:

رجح ابن جرير أن المراد بـ(أبويه) أباه وأمه، لأنه الأغلب في استعمال الناس وعُرفهم، وردّ القول القائل بأن المراد أمه وخالته.

قال ابن كثير: (قال ابن جرير: لم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها. وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق)[٣].

وعلى هذا جاءت كتب اللغة أن الأَبَوَينِ: الأَبُ والأُمُّ[٤].

وخالف ابن عاشور ابن جرير، وقال: الصحيح أن أم يوسف عليه السلام توفيت قبل ذلك حين ولدت بنيامين، ولذلك قال جمهور المفسرين: أطلق الأبوان على الأب زوج الأب وهي خالة يوسف عليه السلام وهي التي تولت تربيته على طريقة التغليب والتنزيل[٥].

(١) انظر: جامع البيان، (٢٦٧/١٦).

(٢) انظر: جامع البيان، (٢٦٦/١٦-٢٦٧).

(٣) تفسير ابن كثير، (٣٥٢/٤)، ولم أقف عليه في تفسير ابن جرير.

(٤) لسان العرب، مادة أبي، (١٤/٧)، وفي مادة عشا، (٦٠/١٥)، الصحاح للجوهري، مادة أبا، (٢٦٠/٦)، المعجم الوسيط، مادة أبا، (٥/١).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (٥٥/١٣).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة حول الإمام ابن جرير وترجيحاته في تفسيره بالأغلب المشهور من كلام العرب نخلص إلى النتائج التالية:

- اهتمام ابن جرير باختلاف المفسرين والترجيح بين أقوالهم على أسس علمية منهجية.
- اتخاذ ابن جرير قاعدة (الأغلب والمشهور من كلام العرب) أصلا من أصول الترجيح وقواعده في تفسيره في الترجيح بين الأقوال والآراء المختلفة والقراءات.
- من أهم القواعد اللغوية التي اعتمدها ابن جرير في الترجيح: الترجيح بالأظهرِ من الكلامِ المستعملِ في ألسنِ العربِ دونَ الأقلّ.
- بلغت المواضع التي رجح فيها ابن جرير بقاعدة (الأغلب والمشهور من كلام العرب) عشرة مواضع في سورة يونس وهود ويوسف عليهم السلام، وتعددت عباراته، فمنها قوله: (الأشهر، الأفصح، الأعرف، الأغلب، الأشهر، الأغلب الأظهر، المتعارف عليه).
- تصدير ابن جرير الترجيح في معظم مواضعه بقوله:(قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله تعالى...).
- احتوى تفسير ابن جرير على ثروة لغوية ضخمة، والتي تُعدّ كنزا ومرجعا مهما في بابها، لاعتماده على ما كان عليه من معرفة واسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ.
- ظهور أدب الرد على الخلاف بين الآراء؛ إذ لم يتعرض ابن جرير لأصحاب الأقوال بالإساءة والتنقيص؛ بل ويرجح ويعلل فحسب.

من توصيات البحث:

دراسة موضوع اللغة في تفسير ابن جرير إذ أنه لعظمه وأهميته محتاج إلى سبر أغواره وتجلية كنوزه.

وختاماً:

أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، وأن يسدد الخطأ، ويصحح القصد ويصفي النية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ ه)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣- الإصباح في شرح الاقتراح، المؤلف: محمود فجال، الناشر: دار القلم - دمشق، سنة النشر: ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

٤- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين.

٥- إعراب القراءات الشواذ، لأبو البقاء العكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز.

٦- إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.

٧- إعراب القرآن، لأبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٨- الإمام ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، لسعيد بن غليفص بن سعيد آل سعد القحطاني، الناشر: مجلة القراءة والمعرفة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.

١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لعبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت٥٧٧هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١١- الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، تحقيق: د. مازن المبارك، ط٤، دار النفائس ببيروت، ١٤٠٢هـ.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٣- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ)،المحقق : علي محمد البجاوي،الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه
١٤- التذكرة في القراءات الثمان ،أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون (ت: ٣٨٩هـ)، تحقيق:أيمن رشدي سويد، ١٩٩١م ١٤١٢هـ
١٥- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، الوفاة: ٧٤٥هـ، دار الكتب العلمية، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: ١) د. زكريا عبدالمجيد النوقي، ٢) د. أحمد النجولي الجمل، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
١٦- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت – ١٤٠١هـ.
١٧- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور الهروي (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر، بيروت – ١٤٠٥هـ.
١٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٠- الجنى الداني في حروف المعاني، لأبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٢١- الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم (ت ١٤٢٩هـ) الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
٢٢- الخصائص، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي، الطبعة: الرابعة

٢٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق .

٢٤- الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، لمازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م.

٢٥- السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي الوفاة: ٣٢٤هـ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

٢٦- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٨- صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ.

٢٩- العدول الصرفي في القرآن الكريم – دراسة دلالية، هلال علي محمود الجحيشي، إشراف الأستاذ الدكتور محيي الدين توفيق ابراهيم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل،١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٣١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٢- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٥- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي الوفاة: بعد (ت٨٨٠م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٣٦- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الرويفعي الإفريقي الأنصاري (ت٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٣٧- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
٣٨- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٤١- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: ياسين السّواس.
٤٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٣- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ) ،تحقيق: محمد علي الصابوني، دار النشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٤- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى.

٤٥- معجم الأدباء، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، الطبعة الأولى.

٤٦- المعجم الوسيط، لنخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩هـ – ١٩٧٢م.

٤٧- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين الرازي، (ت٣٩٥هـ) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحيقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

٤٩- مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٥٠- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ.